صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٣٩	٧	ثالثة	ثانية
٢٥٢	٢٢	ومطيعا	مطيعا
»	٢٤	الناطقة	الناطقة
٢٥٣	٢٢	الضعية	الضعيفة
»	١٢	يدعوا	يدعو
٢٥٤	٢٢	عملية	علمية
٣٨٩	٧	الى الكذب	الى رواية الكذب
٣٩٢	٢	ان كانت	اذلم تكن
»	»	آية	أول ما نزل
»	»	والا	
»	٤	فهي	أوهي
»	٦	قد	وقد
»	٢٢	لاذى	لآذى
٣٩٩	١٣	المؤمنون	المؤمنين
»	١٤	عن	بذلك عن

ذكرى المولد النبوي

كتبنا رسالة في ذكرى المولد النبوي الشريف بينا فيها كيفية نشأة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام ومعنى اصطفاء الله تعالى له ولاهل بيته ولقومه ولأمته، وحكمة ظهوره في العرب الاميين دون شعوب المدنية في عهده، وخبر البعثة والدعوة الاسلامية. وسنجعل لها مقدمة نبين فيها ما ينبغي بيانه نطبعها معها على حدة — وهذا نص الذكرى —:

بسم الله الرحمن الرحيم

محمدُك اللهمَّ حمدَ الشاكرين ، أنْ بعثتَ فينا محمدًا خاتمَ النبيينَ والمرسَلين ، وأرسلتهُ رحمةً عامةً للعالَمين ، واختصصتَ بمنّتك بهِ الأُمّيّينَ وسائرَ المؤمنينَ ، واستجبتَ به دعوةَ إبراهيم ، وحققتَ بهِ بشارةَ عيسى والنبيّينَ ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ : رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * — وَإِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي؟ قَالُوا أَقْرَرْنَا، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ

مُبِينٍ * هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)

نحمَدُكَ اللَّهمَّ ونصلِّي ونسلمُ على هذا النبيِّ الامين، وعلى آله وأصحابه الذين أقاموا الدين، ومَنْ تَبعهمْ في هداهم وَهَدْيِهم الى يوم الدين

*

أما بَعدُ فإنَّ الاحتفالَ بذكرى المولدِ النَّبويِّ في شهرِ ربيعٍ الاول، عادةٌ أحدثَها في القرن السابع الملكُ المُظفَّرُ أبوسعيد صاحبُ إربل، من البلاد التابعة الآنَ لِولاية الموصل، ثم انتشرَتْ هذه العادةُ في الأقطار، وقد بَذَّتْ مِصرُ بها جميعَ الامصار، والفائدةُ التي يَنبغي أنْ تتوخَّى[1] في هذا اليومِ الذي فَضَلَ الأيام، هي التَّذكيرُ بخُلاصةِ تاريخ النبيِّ عليه أفضلُ الصلاةِ والسلام، ليتذكرَ المؤمنون مِنَّةَ اللهِ عليهم ببعثته، وتَتغذَّى أرواحُهم بزيادة الإيمان وكمال محبته، ويحرِصوا على إقامة دينهِ وإحياءِ سُنَّته. وها نحنُ أولاءِ نُشنِّفُ الاسماعَ بفرائدَ من نَسبهِ وحَسَبه[2]، ومزايا قومه وعشيرته، وأخبارِ مولدِه وتربيتهِ، وكيفيةِ معيشتهِ في نفسه، وزواجهِ وسيرتهِ مع أهلِه، تمهيداً لبيانِ المقصدِ الأهمِّ الأعظم، وهو نبأُ بعثتهِ صلى اللهُ عليهِ وسلم، مستمدِّينَ ذلكَ من الكتابِ العزيزِ والسُّنَّةِ الثابتة

(١) تتوخى تتعمد وتخص بالطلب والقصد (٢) الحسب ما يعد من مفاخر الآباء

عندَ المحدِّثين ، وما تمسُّ الحاجةُ اليهِ مما أثبتهُ ثقاتُ المؤرِّخين، معرضينَ عن الرِّواياتِ الموضوعات ، والواهياتِ والمنكراتِ ؛ التي عُنِيَ الكثيرونَ بنقلِها لما فيها من الخوارقِ والغرائبِ ، مبالغةً فيما أجازَه العلماءُ من قَبُول الأخبارِ الضعيفةِ في المناقِب ، ولما يُرْجَى من حُسنِ تأثيرها في قُلُوب العوَام، معَ الغفلةِ عمَّا يُخشى من ضدِّ ذلك في نابتةِ هذه الأيَّام ؛ على أنَّ لنا فيما لا يُحصَى منَ الفضائلِ والمناقبِ المشهُورةِ والمتواتِرة، مايُغني عن جميعِ الرِّوايات الضعيفةِ والمنكرة، وبذلك يُعرَفُ قدرُ الإصلاحِ العظيمِ ، الذي أرسلَ اللهُ به هذا النبيَّ الكريم ؛ عليهِ مِن الله أفضلُ الصلاةِ والتسليم

قومه ونسبه صلى الله عليه وسلم

(إنَّ اللهَ اصطفَى آدمَ ونُوحًا وآلَ إبراهيمَ وآلَ عمرانَ على العالمينَ) إذْ جعلَ فيهمُ النُّبوَّةَ والهدايةَ للمتقدِّمينَ والمتأخِّرين، ثمَّ اصطفَى كنانةَ من آل اسماعيلَ بنِ ابراهيم ، واصطفى قُرَيْشًا من كنانةَ ، واصطفَى منْ قُرَيْشٍ بني هاشم، واصطفَى سيِّدَ ولدِ آدمَ من بني هاشمٍ ؛ فكانَ آلُ اسماعيلَ افضلَ الاوَّلينَ والآخرين، كما كانَ بنو إسحاقَ أفضلَ المتوسِّطين ، اذ كانتْ هدايةُ الانبياء من بني اسحاقَ وغيرِهم خاصَّة ، وهدايةُ هذا النبيِّ من آل اسماعيلَ عامَّة ، فبهِ أكملَ اللهُ تعالى الدين، وأتمَّ نِعمتَهُ على العالمين ، كما اقتضتْهُ سُنَّتُهُ تعالى في النُّشوء والارتقاء ، التي كانت في البَشَرِ أظهرَ منها في سائرِ الأحياء .

كيفَ كانَ اصطفاء الله تعالى لهذه الأصول منَ الأُمَّة العَرَبيَّة ، الذي ثبتَ في صحيح مسلم وغيره من كُتُبِ السُّنة السنيَّة ؟ وبماذا أمتازَ قومُ خاتَمِ الرُّسلِ الكرام ، فَفَضلوا به غيرهم منَ الأَقوام، حتى أستعدُّوا به لهـذا الإصلاح الرُّوحيِّ المَدَنيِّ العامّ ، الذي اشتملَ عليـه دينُ الإسلام ، على ما طَرأ عليهم من الأُمّيّة وعبادةِ الأَصنام، وما أحدثتْ فيهم غلبة البَداوةِ منَ التفرُّقِ وأَلاَّ نقسام ؟

الجواب — :

كانتِ العربُ ممتازةً بأستقلال الفكر وسَعةِ الحرّيّة الشّخصية، أيامَ كانتِ الأُممُ تَرْسُفُ (١) في عُبُوديَّة الرياستين الدينيَّـةِ والدُّنيوية، محظورًا عليها أن تَفهمَ غيرَ ما يُلَقّنُها الكهنةُ ورجالُ الدّينِ منَ الأَحكام الدينية، وأن تُخالفَهم في مسألةٍ عقليّةٍ أو كونيَّةٍ أو أدبيّةٍ ، كما حُظرت عليها حرّيةُ التصرُّفات المدَنيَّة والماليَّة

كانتِ العربُ ممتازةً بأستقـلالِ الإرادةِ في جميعِ الاعمال ، أيّامَ كانت الامُ مُذَلَّلةً مُسَخَّرةً للملوك والنُّبلاءِ المالكينَ للرقاب والأَموال ، يَستخدمونها كما يستخدمون البهائم ، ويُصَرِّفونها كما يصرّفون السوائم (٢) لارأيَ لها معهم في سِلمٍ ولا حَرْبٍ، ولا إرادةَ لها في عَملٍ ولا كسب

كانت العربُ ممتازةً بعزّةِ النفس ، وشـدّةِ البأسِ ، وقوة الأبدان ، وجُرأةِ الجَنان ، أيّامَ كانت الأُممُ مؤلّفةً من رؤساء

---

(١) ترسف تمشي مشية المقيد — يشبه تصرفها في استعباد الرؤساء لها بمشي الاسير في قيوده (٢) السوائم المواشي الراعية

أفسدهم الإسرافُ في الترَفِ، ومرؤوسينَ أضعفهمُ البؤسُ والشظَفُ[١] وسادةٍ أبطرهم بَغيُ الاستبداد، ومَسُودين أذلهم قهرُ الاستِعباد

كانت العربُ أقربَ إلى فضيلةِ المساواةِ بين الأفراد، من غير شرائع تُحترَمُ بالاعتقاد، ولا قوانينَ تكفلُها قوةُ الأجناد. أيامَ كانت الأمم تنقسمُ إلى طبقات، يرتفعُ بعضُها على بعضٍ عِدةَ درَجات، لا بفضائلَ ذاتيةٍ، من علميةٍ أو عمليةٍ، بل بحكم وراثةِ الخلفِ الطالحين[٢] للسلف المستكبرين، باستبداد الملكِ أو تقاليد الدين

كانت العرب ممتازةً بالذكاء واللوذعيةِ، وكثيرٍ من الفضائلِ الموروثة والكسبيةِ. كقِرَى الضيوف، وإغاثةِ الملهوف، والنجدةِ والإباء،[٣] وعلوّ الهمةِ والسخاء، والرحمة والإيثار[٤] وحماية اللاجيء وحرمة الجار. أيامَ كانت الأمم مُرْهَقةً بالأثرةِ والأنانية[٥] والآنين من ثِقلِ الضرائبِ والأتاوى[٦] الأميرية، ورؤساؤها منغمسينَ في الشهواتِ البهيميةِ، وفسادُ الأخلاقِ قد عمَّ الراعيَ والرعيةَ

---

(١) الشظف بفتحتين ضيق المعيشة

(٢) الخلف بسكون اللام الذين يخلفون غيرهم في الشر. والطالحون بالطاء الفاسدين فهو ضد الصالحين

(٣) النجدة مضاء عزم يبعث على المضي فيما يعجز عنه غيره. والاباء الترفع عن الخسائس

(٤) الايثار تقديمك غيرك على نفسك بما تحتاج اليه مما تملك

(٥) تقديم نفسك على غيرك ولو بما هو أولى به منك فهي ضد الايثار، والانانية المبالغة في حب النفس الحامل على الأثرة، وهو نسبة الى كلمة «أنا»

(٦) الضرائب جمع ضريبة وهي ما يضرب على العبيد ونحوهم من المال يؤدونه أقساطا، ومنها الجزية، وضريبة الارض الخراج. والاتاوى جمع إتاوة وهي الرشوة، وتطلق على الخراج ونحوه

كانت العربُ قد بلغت أَوْجَ الكمال ، في فصاحةِ اللسان وبلاغةِ المقال ، وكادت تتحدُ لغاتُ قبائلها أولمعاتُها العربية،وتسودُ المُضَرِيةُ منها على الحميرية، بما كان لقُرَيشٍ وغيرِها من الرحلاتِ التجارية ، والأسواقِ الأدبيّة ؛ فاستعدَّت بذلكَ للوَحدةِ القومية ، وللتأثُّرِ والتأثير بالبراهينِ العقلية، والمعاني الخطابية والشعرية ، وللتعبير عن جميع العلوم الالهيةِ والشرعيةِ ، والفنونِ العقلية والكونيّة. أيامَ كانت الأُمم تنفصمُ عُرَى وَحدتها بالتعصباتِ الدينيّةِ والمذهبيّة ، وتتفرَّقُ وشائجها[1] بالمداوات الجنسيّةِ ، وتتمزَّقُ دُوَلُها بالحروبِ الأجنبيّة والأهلية.

فتلكَ أُمهاتُ مزايا الامة العربية، التي أعدّها اللهُ تعالى بها للبعثة المحمدّية ، والسيادة الدينيّة والمدنيّة ، بعدَ أن طال المهدُ على مدَنيّتهم المادِيّة ، واستعمارهم للبلادِ الكلدانيّةِ البابليّة ، والبلادِ الفينيقيّةِ (السورية) والمصرية ، التي تشهدُ لها سيادةُ لُغتهم للُّغاتِ السامّيّة، وبقاياها في اللُّغة الحميرُوغليفيّة [2] ، وبعدَ أن غلبتْ عليهمُ الأُمّية ، وخرافاتُ الوثنية ، وعصبيةُ الجاهلية

وجملةُ مزاياهم أنهم كانوا أسلمَ الناسَ فطرَة، على كون أُمم الحضارةِ كانت أرقى منهم في كلّ فنٍ وصناعة . والاصلاحُ الاسلامي مبنيٌ على

---

(١) الوشيج والوشيجة اشتباك القرابة وتداخل بعضها في بعض وأصله شجر الرماح ونحوه مما يشتبك (٢) أقدم مدنية وحضارة عرفها التاريخ مدنية الكلدانيين والبابليين في العراق والمصريين في مصر والفينيقيين في سورية وقد ثبت لدى بعض علماء الماديات (الآثار القديمة) ان أهلها من بلاد العرب

تقديم إصلاح الانفس باستقلال العقل والارادة وتهذيب الأخلاق، على إصلاح ما في الارض من معدن ونبات وحيوان، أي أن الله تعالى كان يُعِدُّ هذه الامة لهذا الإصلاح العظيم، الذي جاء به محمد عليه من الله أفضلُ الصلاة والتسليم

اصطفاء كنانة وقريش وبني هاشم

أما اصطفاء الله لكنانة الشيخ الجليل، من سلالة نبيه الذبيح إسماعيل، فيفسّرُهُ ما كانت تحفظهُ العربُ من أخبار كرَمه ونُبله، ومنها انه كان على سُنَّة جدّه إبراهيم الخليل لا يأكلُ وحدَه. وقد نقل الحافظ في شرح البخاري أنهم كانوا يحجُّون اليه لِعلمه وفضله. ومما يُؤثَرُ عنهُ من الحِكَم الجليلة، كما رُوِيَ في السيرة الحلبية: رُبَّ صُورَةٍ تُخالفُ المُخبَرَة، قد غرَّت بجمالها، واختُبِرَ قُبحُ فِعالها، فاحذَرِ الصُّوَر، واطلُبِ الخبَر. فهذا دليل على ما وُصِفَ به من العلم والحكمة، وأما حجُّ العرب اليه فهو دليلٌ على أنهُ كان مثابةَ التعارُف، ومَعقِدَ رابطةِ الاجتماع والتآلُف.

*

وأما اصطفاء الله تعالى لقريش الميامين الغرّ، وهم ذريّةُ فِهرِ بن مالكٍ وقيلَ جدُّه النَّضر. فقد كان بما آتاهمُ اللهُ من المناقب العظام، ولا سيَّما بعد سكنى مكة وخدمة المسجد الحرام، إذ كانوا أصرحَ ولدِ اسماعيل أنسابا، وأشرفَهم أحسابا وأعلاهم آدابا، وأفصحَهم ألسنةً، وهم المُمَهَّدون لجمع الكلمة. — فقد نقل أهلُ السِّير، أنَّ مالكَ بنَ النَّضر

كان ملكَ العرَب، وأنّ كعْبَ بن لُؤَيٍّ كان يجمعُ قومَهُ ويعظُهم يوم الجمعة، وكانوا يُسمُّونهُ يومَ العَرُوبة، وأنهم كانوا يُجلُّونهُ في حياته، ثمّ انهم أرّخوا بموْته، وأنّ قُصَيًّا هو الذي جمعَ شَمْلَ قبائلِ قريشٍ بمكة، إذ كان هو الوارثَ لمن كانوا يتولّونه من خُزَاعة [1] وقد تملك عليهم فملّكوه، إلا أنهُ قد أقرّ للعرَب ما كانوا عليه. وذلك أنهُ كان يرَاهُ دِيناً في نفسه، لا ينبغي له تغييرُه ولا لغيره من بعده (قال ابن اسحق) وهو الذي أنشأ النَّدْوَة، وجعل بابها الى الكعبة، وقد أجمعتْ قريشٌ على طاعته وحبه، فكانت اليه الحِجابةُ وَالسِّقايةُ وَالرِّفادَةُ وَالنَّدْوَةُ واللّواء، ثم وُزِّعت المناصبُ بعده على الزُّعماء [2]

(١) قد كان ذلك بتزوجه لحبّى بنت حليل الذي كان آخر من ولي منهم. قال ابن اسحق: فلما انتشر ولد قصي وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل، فرأى قصي انه أولى بالكعبة و بأمر مكة من خزاعة و بني بكر. وان قريشا قرعة اسماعيل ابن ابراهيم وصريح ولده، ثم قال بعد بيان ما كان في ذلك من أمره. فولي قصي البيت وأمر مكة. الخ

(٢) كان لقريش من المناصب غير تلك الخمسة. الاشناق والعمارة والسفارة والأعنة والقبة، والأموال المحجرة للمعبودات كالاصنام، والايسار الذي منه الاستقسام بالأزلام، الذي يرجح به بين الاقدام والاحجام. وقد عابهم عليها الاسلام: (فالحجابة) هي السدانة أي خدمة المسجد الحرام. (والسقاية) توزيع الماء المحلى والقراح على جميع الحجاج. (والرفادة) إسعاف الفقراء والمساكين. ولا سيما الحجاج المنقطعين. (والندوة) الشورى لاجالة الرأي في الامور العظام. التي اجتمعوا فيها بعد البعثة للائتمار بالنبي عليه الصلاة والسلام. (واللواء) راية قريش وكانت تسمى العقاب، (والاشناق) تحمل الديات والمغارم. لمنع انتشار التعادي والتخاصم. (والعمارة) حفظ بناء المسجد الحرام قيل وحفظه من اللغط وهجر الكلام (والسفارة) المراسلة بين فريقين في شأن من الشؤون العامة، كالقتال أو المفاخرة. (والاعنة) قيادة الفرسان في أيام الطعان أو الرهان، (والقبة) الخيمة الرسمية التي تنصب وقت الحرب. و يجتمع فيها ما يجهز به الجيش

وأفضلُ من ذلك كله ما وُفِّقوا له في حَدَاثة الرّسول. من التَّحالُفِ الذي عُرِفَ بحِلْفِ الفُضول، إذ تعاقدُوا وتعاهدُوا أن لا يجِدُوا بمكةَ مظلوماً إلا قاموا معهُ، وكانوا عَوْناً لهُ على مَن ظَلمهُ، الى إن تُرَدَّ مَظْلَمَتُهُ. وفي حديث الزُّبير بن العوّام عند الطبرانيّ، ومثلهُ حديثُ أمّ هانئٍ في معجمه الأوسطِ كتاريخ البخاريّ، «فَضَّل اللهُ قُريشاً بسبعِ خِصال: فضَّلهُم بأنهم عَبَدُوا اللهَ عشرَ سنينَ لا يَعبدُ اللهَ الا قُرَشيٌّ [1] وفضلهم بأنه نَصرَهُم يومَ الفِيل وهم مشركون. وفضلهم بأنه نزّل فيهم سورةً من القرآن لم يدخلْ فيها أحد من العالمين. — وهي لإيلافِ قُرَيش — وفضلهم بأن فيهمُ النبوةَ والخِلافةَ، والحِجابةَ والسقاية»

كان ذلك كلُّهُ من ارْتقاء قريشٍ واستعدادِ العرب للاسلام، ولكنَّ هذه القوى المعنويّةَ كلَّها وُجِّهت لمعاداتهِ عليهِ أفضلُ الصلاةِ والسلام

*

وأما اصطفاء الله تعالى لِبني هاشمٍ، فقد كان بما امتازوا بهِ من الفضائلِ والمكارمِ، فقد رَوى أبونُعيم من حديث المستَوْرِد الفِهريّ رضي الله عنهُ «إنَّ فيهم خِصالاً أربعاً: إنهم أصلحُ الناسِ عندَ فتنة، وأسرعُهم إفاقةً بعد مُصيبة. وأَوْشكُهم كرّةً بعد فَرّة، وخيرُهم لمسكين ويتيمٍ، وأمنعُهم من ظلمِ الملوك». وكان جدُّهم هاشمٌ صاحبَ إيلافِ

(١) أي لا يعبده ويوحده أحد الا أناس منهم إذ كانوا على ملة ابراهيم وكانت الوثنية قد شملت العرب كلهم كما شملت غيرهم

قُرَيش ، الذي أَخذَ لهمُ العهدَ من قيصر الروم على حمايتهم في رِحلةِ الصَّيف ، ورُوِيَ أنهُ هو الذي سَنَّ الرِّحلتين ، وأخذَ العهودَ بها من الحكومتين ، حكومةِ اليَمن العربية ، وحكومة الشامِ الرُّومية ، فاتَّسعتْ بهما معيشةُ قريش ، وأَمنوا في تجارتهم من كل خَوْف ، وقد امتنَّ الله عليهم بذلك في القرآن ، بما عُدَّتْ بهِ التجارةُ من أشرفِ أعمالِ الإنسان ، وإنما أُطلِقَ لقب هاشمٍ على عمرو بنِ عبدِ مَناف ، لأنهُ أوَّلُ من هَشَمَ الثريدَ للمُسنتينَ العِجاف[1] ، وكانَ يُشبعُ منهُ كلَّ عامٍ أهلَ الموسم كافَّة ، كما أشبعَ منهُ قومَهُ في سنةِ القَحطِ والمَجاعة ، على أن مائدتهُ كانت مَنصوبةً لا تُرْفعُ في السَّراء ولا في الضَّرَّاء ، وزادَ عليهِ ولَدُه عبدُ المطَّلبِ فكانَ يُطعمُ الوحشَ وطيرَ السماء ، وكان أوَّلَ من تحنثَ بغارِ حراء ، ورُوِيَ أنهُ حرَّمَ الخمرَ على نفسهِ ، وجعلَ ماءَ زمزمَ للشُّربِ فحَرَّمَ أن يُغتسلَ به ،

فجملةُ ما امتازَ بهِ آلهُ صلى الله عليهِ وسلم على سائرِ قومهِ الأخلاقُ العليَّة ، والفواضلُ والفضائلُ النفسيَّة ، وكانوا أبعدَ من سائر قريش عن الكِبْر والأَشَرة والامور الحربية ، ولذلكَ غُلِبوا على الرِّياسةِ حتَّى بعدَ الإسلام ، وحِكمةُ ذلك ظاهرةٌ لأُولِي الأحلام ، فهو أنقى للشُّبَه عن رسالتهِ عليهِ أفضلُ الصلاة والسلام

(١) المسنتون اسم فاعل من أسنت القوم أصابتهم السنة والقحط والعجاف جمع أعجف وعجفاء وهم الذين ضعفوا وهزلت أبدانهم ، العبارة مأخوذة من قول ابن الزِّبعرى في مدح هاشم :

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

سرد نسبه صلى الله عليه وسلم

بَعْدَ هٰذَا التَّذْكِيرِ بِمَنَاقِبِ قَوْمِهِ ، وَالتَّفْسِيرِ لِاصْطِفَاءِ اللهِ تَعَالَى لِقَبِيلِهِ وَآلِ بَيْتِهِ ، نَشْنُفُ الْأَسْمَاعَ بِنَسَبِهِ الْمَحْفُوظِ بِالتَّفْصِيلِ ، الْمُتَوَاتِرِ اتِّصَالُهُ بِنَبِيِّ اللهِ إِسْمَاعِيلَ ، فَنَقُولُ : هُوَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَاسْمُهُ شَيْبَةُ الْحَمْدِ ، ابْنِ هَاشِمٍ وَاسْمُهُ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَبُوهُ عَمْرُو ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَاسْمُهُ الْمُغِيرَةُ ، ابْنِ قُصَيٍّ وَلُقِّبَ بِمُجَمِّعٍ إِذْ جَمَعَ قُرَيْشًا فِي تِلْكَ الْحِظِيرَةِ ابْنِ حَكِيمٍ الَّذِي لُقِّبَ بِكِلَابٍ وَالْكِلَابُ مَصْدَرٌ كَالْمُكَالَبَةِ ، وَمَعْنَاهُ الْمُجَاهَرَةُ بِالْعَدَاوَةِ وَالْمُنَاصَبَةِ ، ابْنِ مُرَّةَ وَالْمُرَادُ بِهِ الْجِلْدُ الْقَوِيُّ ابْنِ كَعْبٍ وَهُوَ مَنْقُولٌ مِنْ كَعْبِ الرُّمْحِ الرُّدَيْنِيِّ ، بْنِ لُؤَيٍّ ، وَهُوَ تَصْغِيرُ لِوَاءٍ أَوْ لَأًى أَوْ لَأْيٍ (١) ابْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ وَمَعْنَاهُ الْحَجَرُ الصَّغِيرُ (٢) وَهُوَ قُرَيْشٌ عَلَى الْمُعْتَمَدِ عِنْدَ الْجَمَاهِيرِ ، ابْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ وَاسْمُهُ قَيْسٌ ، وَالنَّضْرُ هُوَ الْحَسَنُ الْمُشْرِقُ الْوَجْهِ ، ابْنِ كِنَانَةَ وَمَعْنَاهُ وِعَاءُ السِّهَامِ مِنَ الْجِلْدِ ، ابْنِ خُزَيْمَةَ وَهُوَ تَصْغِيرُ اسْمِ الْمَرَّةِ مِنَ الْخَزْمِ (٣) ، ابْنِ مُدْرِكَةَ وَاسْمُهُ عَامِرٌ أَوْ عَمْرٌو ، ابْنِ إِلْيَاسَ وَهُوَ مُخَفَّفُ الْيَأْسِ ، ابْنِ مُضَرَ وَهُوَ مَعْدُولٌ عَنْ مَاضِرٍ ، وَمَعْنَاهُ اللَّبَنُ الْأَبْيَضُ أَوِ الْحَامِضُ الْخَاثِرُ ، ابْنِ نِزَارِ مِنَ النَّزْرِ

(١) اللواء معروف واللأى الثور الوحشي ويكنى به عن حسن العينين . واللأي البطء
(٢) الفهر الحجر الذي يؤخذ باليد عادة ويدق به الشيء وقيل مطلقا
(٣) الخزم نظم اللآلئ في السلك

وَمَعْنَاهُ الْقَلِيلُ ، وَلَعَلَّهُ سُمِّيَ بِهِ تَفَاؤُلاً بِقِلَّةِ وُجُودِ مِثْلِهِ فِي ذَلِكَ الْجِيلِ ، ابْنُ مَعَدٍّ وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْمَعْدِ ، وَهُوَ الْجَذْبُ السَّرِيعُ وَالذِّهَابُ فِي الْأَرْضِ ، وَوَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ وَفِي نَصِيحَةِ عُمَرَ لِلْجَيْشِ ، « تَمَعْدَدُوا » أَيْ تَشَبَّهُوا بِمَعَدٍّ فِي خُشُونَةِ الْعَيْشِ . ابْنِ عَدْنَانَ ، وَهُوَ مِنْ عَدَنَ بِمَعْنَى أَقَامَ فِي الْمَكَانِ

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ « كَانَ عَدْنَانُ وَمَعَدٌّ وَرَبِيعَةُ وَمُضَرُ وَخُزَيْمَةُ وَأَسَدٌ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَلَا تَذْكُرُوهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ »[1] وَرَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ مَرْفُوعًا « لَا تَسُبُّوا مُضَرَ وَلَا رَبِيعَةَ فَإِنَّهُمَا كَانَا مُسْلِمَيْنِ »[2] فَهَذَا مَا كَانَ يَسُرُّهُ الرَّسُولُ مِنْ نَسَبِهِ كَالدُّرِّ النَّظِيمِ ، وَهُوَ وَاسِطَةُ عِقْدِهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ ،

نَسَبٌ تَحْسَبُ الْعُلَا بِحُلَاهُ ... قَلَّدَتْهَا نُجُومَهَا الْجَوْزَاءُ

حَبَّذَا عِقْدُ سُؤْدُدٍ وَفَخَارٍ ... أَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ الْعَصْمَاءُ

زواج عبد الله بآمنة والحمل بالنبي وولادته صلى الله عليه وسلم

انْحَصَرَ نَسْلُ هَاشِمٍ فِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ سِوَاهُ ، وَوُلِدَ

---

(١) عزاه الحافظ في فتح الباري الى تخريج أبي جعفر بن حبيب في تاريخه المحبر . قوله وربيعة ومضر أي ابن نزار بن معد ، قوله وأسد هو ابن خزيمة

(٢) قال الحافظ وله شاهد عند ابن حبيب من مرسل سعيد ابن المسيب ؛ أي ومراسيله أصح المراسيل

لِعَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ أَبُو طَالِبٍ وَٱلْعَبَّاسُ وَحَمْزَةُ وَعَبْدُ ٱللهِ . وَقَدْ زَوَّجَ عَبْدَ ٱللهِ آمِنَةَ ٱبْنَةَ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ، وَزُهْرَةُ أَخُو جَدِّ قُصَيِّ ابْنِ حَكِيمِ بْنِ مُرَّةَ ، وَقَدْ بَنَى عَلَيْهَا فِي بَيْتِ أَهْلِهَا وَأَقَامَ مَعَهَا فِيهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ حَمَلَتْ بِٱلنَّبِيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وَلَمْ تَجِدْ فِي حَمْلِهِ ثِقَلًا وَلَا وَحَمًا كَمَا هُوَ شَأْنُ ٱلْمُحْصَنَاتِ ٱلصَّحِيحَاتِ ٱلْأَجْسَامِ ، وَقَدْ رَوَى ٱلْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ ٱلْبَيْهَقِيُّ فِي مَرَاسِيلِ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، أَنَّ ٱلصَّحَابَةَ سَأَلُوهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هٰذَا ٱلشَّأْنِ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ ٱللهِ خَبِّرْنَا عَنْ نَفْسِكَ ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ وَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِمَا : مَا كَانَ بَدْءُ أَمْرِكَ؟ فَقَالَ « دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ [1] ، وَبُشْرَى عِيسَى، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ ٱلشَّامِ » وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ هٰذِهِ رُؤْيَا كَانَتْ فِي ٱلْمَنَامِ ، وَلٰكِنَّهَا رُؤْيَا صَادِقَةٌ لَا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ، وَصَحَّحَ ٱبْنُ حِبَّانَ أَنَّ ذٰلِكَ ٱلنُّورَ تَمَثَّلَ لِعَيْنَيْهَا حِينَ أَخَذَهَا ٱلْمَخَاضُ فَوَضَعَتْهُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ

تاريخ ولادته وخبر رضاعته وحضانته صلى الله عليه وسلم

وُلِدَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوِيَّ ٱلْخَلْقِ ، جَمِيلَ ٱلصُّورَةِ صَحِيحَ ٱلْجِسْمِ ، وَكَانَتْ وِلَادَتُهُ فِي عَامِ ٱلْفِيلِ ، فِي ٱللَّيْلَةِ ٱلثَّانِيَةِ عَشْرَةَ أَوِ

(١) أي أنا مصداق دعوته التي حكاها الله عنه في قوله (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) الآية — ومصداق بشرى عيسى برسول يأتي من بعده

التاسعة من شهر ربيع الأول الموافقة للعشرين من شهر إبريل، وكان ذلك العام هو الحادي والسبعين بعد الخمس مئة من مولد المسيح عليهما الصلاة والسلام، وقد توفي والده وهو حمل، فكفله جده شيبة الحمد، فأرضعته أمه ثلاثة أيام، وكذا ثويبة مولاة أبي لهب عدة أيام، وكانت نساء قريش لا يرضعن الأولاد فعهد جده بإرضاعه إلى حليمة السعدية، وجعله في قبيلتها بالبادية لينشأ في العيشة الخلوية، ثم ردته حليمة إلى أمه بعد أربع سنين، فحضنته إلى أن توفيت وله ست سنين، فأصبح صلى الله عليه وسلم يتيم الأبوين، فكفله بعدها جده عبد المطلب سنتين، ثم توفي بعد أن أوصى به أبا طالب عمه، فقام به بعنايته كما يحوط ولده وأهله، إلا أنه كان لفقره يعيش عيشة القشف، فلم يتعود صلى الله عليه وسلم نعيم الترف، وذلك من عناية تعالى بتربية هذا المصلح العظيم، عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم

معيشته في الجاهلية وكسبه ونزواته صلى الله عليه وسلم

ولد صلى الله عليه وسلم يتيماً، ونشأ في قومه فقيراً، ومات والده في سن الشباب، لم يترك له مالاً إلا خمسة جمال وبضع نعاج، وكان قد ألف رعي النعم مع إخوته في الرضاع، فصار يرعى لأهل

مكَّة ، فيُوَفِّرُ على كافلِهِ أَبِي طالِبٍ بِما يأْخُذُ على ذٰلِكَ منَ الْأُجْرَة ، ثُمَّ سافَرَ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طالِبٍ فِي تِجارَتِهِ إِلَى الشَّام ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ اثْنَتا عَشْرَةَ سَنَةً وَشَهْرانِ وَعَشْرَةُ أَيَّام ، وَهُنالِكَ رَآهُ بَحِيرَا الرَّاهِب ، وَبَشَّرَ بِهِ عَمَّهُ أَبا طالِب ، وَحَذَّرَهُ منَ الْيَهُودِ عليْه ، بَعْدَ أَنْ رَأَى خاتَمَ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْه ، ثُمَّ إِنَّهُ سافَرَ إِلَى الشَّامِ مَرَّةً ثانِيةً ، مُتَّجِرًا بِمالِ خَدِيجَةَ تِجارَةَ الْمُضارَبة ، فَأَعْطَتْهُ أَفْضَلَ ما كانَتْ تُعْطِي غَيْرَهُ إِذْ جاءَتْ تِلْكَ التِّجارَةُ بِأَرْباحٍ مُضاعَفَة ، بلْ جاءَتْ بِسَعادَةِ الدُّنْيا وَالْآخِرَة

كانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيّ ، أَعْقَلَ وَأَكْمَلَ امْرَأَةٍ فِي قُرَيْشٍ ، حَتَّى كانَتْ تُدْعَى فِي الْجاهِلِيَّة [الطَّاهِرَة] ، لِما لَها منَ الصِّيانَةِ وَالْفَضائِلِ الظَّاهِرَة ، وَلَمَّا حدَّثَها غُلامُها مَيْسَرَةُ بِما رَأَى مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام ، فِي رَحْلَتِهِ مَعَهُ إِلَى الشَّام ، مِنَ الْأَخْلاقِ الْعالِيَة ، وَالْفَضائِلِ السَّامِيَة ، وَما قالَهُ بَحِيرَا الرَّاهِبُ ، لِعَمِّهِ أَبِي طالِب ، تَعَلَّقَتْ رَغْبَتُها بِأَنْ تَتَّخِذَهُ بَعْلًا ، بَلْ تَرَقَّتْ أَفْكارُها إِلَى ما هُوَ أَعْلَى (*)

(*) روى الفاكهي في كتاب مكة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أبي طالب فاستأذنه أن يتوجه الى خديجة ، فأذن له و بعث بعده جارية يقال لها نبعة ، فقال انظري ما تقول له خديجة ، قالت نبعة فرأيت عجبا : ما هو إلا أن سمعت به خديجة فخرجت الى الباب فاخذت بيده فضمتها الى صدرها ونحرها ، ثم قالت بأبي أنت وأمي والله ما أفعل هذا الشيء ، ولكني أرجو ان تكون أنت النبي الذي ستبعث ، فان تكن هو فاعرف حقي ومنزلتي وادع الإله الذي يعلك لي ، =

فَتَمَّ ذٰلِكَ الزَّوَاجُ الْمَيْمُونُ ، وَكَانَ هو ابْنَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَهِيَ ابْنَةُ أَرْبَعِينَ ، وَتُوُفِّيَتْ بَعْدَ الْبِعْثَةِ بِعَشْرِ سِنِينَ ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ صلى الله عليه وسلم عَلَيْهَا ، وَلَا أَحَبَّ أَحَدًا مِثْلَهَا ، وَكَانَ طُولَ عُمُرِهِ يَذْكُرُهَا ، حَتَّى كَانَتْ عَائِشَةُ تَغَارُ مِنْهَا وَلَمْ تَرَهَا ، قَالَتْ مِنْ حَدِيثٍ لَهَا : فَذَكَرَهَا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ ، فَأَخَذَتْنِي الْغَيْرَةُ فَقُلْتُ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : هَلْ كَانَتْ إِلَّا عَجُوزًا قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ خَيْرًا مِنْهَا ؟ فَغَضِبَ ثُمَّ قَالَ « لَا وَاللهِ مَا أَبْدَلَنِي خَيْرًا مِنْهَا ، آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ النَّاسُ ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ ، وَوَاسَتْنِي فِي مَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ ، وَرَزَقَنِي اللهُ مِنْهَا الْوَلَدَ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ » (١) وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْهَا « إِنَّهَا

= قالت فقال لها « والله لئن كنت أناهو قد اصطنعت عندي ما لاأضيعه أبدا ، وان يكن غيري فان الاله الذي تصنعين هذا لأجله لا يضيعك أبدا » ويؤيد هذا ماورد في كيفية بدء الوحي في الصحيح، ان خديجة قالت له حين خاف على نفسه عاقبة ما أصابه من الجهد، عند ما ظهر له الملك ، « كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق » وكذا ماثبت من أنها كانت تعد له الزاد ، لينقطع الى التحنث فى غارحراء، وروى الواقدي بسنده الى نفيسة بنت أمية أخت يعلى قالت: كانت خديجة امرأة شريفة جلدة كثيرة المال ، ولما تأيمت كان كل شريف من قريش يتمنى أن يتزوجها ، فلما سافر النبي (ص) في تجارتها ورجع بربح وافر رغبت فيه ، فأرسلتني دسيسا اليه ، فقلت له ما يمنعك ان تتزوج ؟ فقال « مافي يدي شيء » فقلت فان كفيت ودعيت الى المال والجمال والكفاءة ؟ قال « ومن ؟ قالت : خديجة ، فأجاب

(١) وفي رواية اذ حرمني أولاد النساء. رواه ابن عبد البر في الاستيعاب وكذا الدولابي في الذرية الطاهرة من طريق واثل بن داود - وقد وثقه احمد - عن عبدالله البهي - وهو مقبول - عنها. قالت عائشة فقلت في نفسي: لاأذكرها بسيئة أبدا

مَا غَارَتْ عَلَى امْرَأَةٍ كَمَا غَارَتْ عَلَى خَدِيجَةَ وَهِيَ لَمْ تَرَهَا ، وَعَلَّلَتْ ذَلِكَ بِكَثْرَةِ ذِكْرِهِ إِيَّاهَا . قَالَتْ : وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ يَقُولُ « أَرْسِلُوا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ » فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا وَقُلْتُ خَدِيجَةَ ! فَقَالَ « إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا » وَفِي رِوَايَةٍ عزاها الْحَافِظُ فِي الْإِصَابَةِ إِلَى الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ « إِنِّي لَأُحِبُّ حَبِيبَهَا »(١) — فَهَذَا هُوَ الْوَفَاءُ الْكَامِلُ اللَّائِقُ بِذَلِكَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ، عَلَيْهِ مِنَ اللهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ (له بقية)

مدرسة

دار الدعوة والإرشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٦

الالتهاب الرئوي الباسيلي

ذكرنا فيما سبق أن من الميكروبات التي تحدث التهاب الرئة باسيلا اكتشفه [فردلندر Friedländer] وهذا النوع من الالتهاب شديد جدا خطر على الحياة ، ويشاهد ميكروبه كثيرا في حويصلات الرئة ، وقد تتقيح منه أو تصاب بالغنغرينة (الموت)

(١) كذا في الاصابة . ورواية الاستيعاب عنها : وان كان ليذبح الشاة فيتتبع بذلك صدائق خديجة يهديها لهن . والصدائق جمع صديقة